

المسحاة

مجلة

المجلد التاسع عشر
الجزء السادس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد التاسع عشر)

٣٢١

(الجزء السادس)

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤن الحكمة فقد
أوتى خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعجزة
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٥ — ٤ القوس (خ ٣) ١٢٩٥ هـ ش ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

فَتَسَاءَلُكَ الْمَلِئِكَةُ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

٨ - الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

وتحقيق معنى الظن واليقين والتواتر (*)

قال المتكلمون ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لان المطلوب فيها التقطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد الا الظن ، وقد قال تعالى (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) وانما تثبت بالاحاديث المتواترة لانها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الايمان وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائله فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلمتي الظن واليقين فظنوا ان الاحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات العدول في صفات الباري عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الايمان بها شرعا ولا بضرر المسلم تكذيبها ، وان لم يكن عنده شك في صحتها ، بناء على ان احاديث الآحاد لا تفيد في نفسها الا الظن الذي لا يجوز الاخذ به في

(*) هذه تمة الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

[المنازل: ج ٦ م ١٩] تحقيق معنى الظن واليقين لغة واصطلاحاً ٣٤٣

العقائد لانه لا يغني من الحق شيئاً . وهذا الظن الذي فهموه من عبارة المتكلمين هو الذي لا يغني من الحق شيئاً ، وما أظن ان مسلماً يعتد بعلمه يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الأحاد لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لورودها ، وإنما تقوم بالتواتر لانه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضروب التصديق بغير الحسي ولا الضروري من المدركات ، فهو مما تتفاوت أفراده بالقوة والضعف ، فمنه ما يكون يقيناً لا تردد فيه ، ومنه ما يكون راجحاً مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضاً ، فالتصديق المبني على الأدلة النظرية الذي يجزم به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال النقيض يسمى ظناً ، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظناً ، ولا العلم الضروري كقولنا : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير لقول الأزهرى ، في التهذيب : الظن يقين وشك ، وقول ابن سيدة في المحكم : هو شك ويقين إلا انه ليس يقين عيان إنما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفبروزبادي في القاموس - : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم - فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطق والفلاسفة ، ومثله قول المناوي : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ولكن الفبروزبادي لم يسمه إلا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين . فان أراد انه يوضع موضع العلم حتى في الحسيات والضروريات فقوله غير صحيح . واليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الأمر ، وهو نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل . قاله في لسان العرب . ثم قال - : وربما عبروا بالظن عن اليقين واليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لما يحصل عن أماره ومنى ، قويت أدت الى العلم ومنى ضعفت جداً لم يتجاوز حد لوم . ثم ذكر أن من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الفراق) وقوله تعالى (ألا بظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وقوله (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) وقوله (وظن داود أنه فتناء) وإنما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس

٣٤٤ التواتر وكون خبر الواحد يفيد الظن والعلم [المناظر: ج ١٩ ص ١٩٠]

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليهما بحيث لا يحتمل النقيض . وقد فسر الراغب اليقين بقوله : هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وقال انه من صفة العلم فوق المعرفة والدراية .

فعلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لا شك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه أن كل يقين ظن يقين وإنما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فيبينهما العموم والخصوص باطلاق . والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين أن الاعتقاد الجازم المطابق . واشترائط المطابقة للواقع اصطلاحى خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بغير الواقع موقفاً به لا عالماً .

إذا فقهت هذا فاعلم أن كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار مأخذ لذاته ، واسم اليقين أن جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم أن مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظنا بل علماً .

وخبر التواتر إنما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وإن اعتمدوا انه يفيد الضروري فإن من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بعينه مثلاً ، وإن يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطؤوا على الكذب ، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات . وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبره التواتر مع توفر الشروط التي ذكروها . فاكتمى بعضهم بالآحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات . ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر . ومثل هذا العلم كثيراً ما يحصل بخبر الواحد وإن لم يكن متصفاً بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالعدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلاً عن مخالفة الأمور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وإن لم يكن المخبر به متصفاً بعدالة رواية الحديث أكثر ما نسمعه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من أصدقائنا ومعاملينا وأهل بيوتنا وخدمنا من الاخبار عن أمور معيشتنا كقولهم :

حضر الطعام، وهي: الحام، وجاء للزيارة فلان. ومن هذا القبيل كل خبر لا مجال للتمهة فيه. وأما اخبارهم فيما يهتمون فيه فهي التي يرتاب فيها، ويحتاج الى القرائن والادلة في تمييز راجعها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والظن في الخصوم، ورواية الغرائب والمجائب، فالأخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والخلط، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاستنباط، أو بضعف البيان، أو بتقليد الآباء أو الاموات، وما يتبع ذلك من الوهم، ومن خطأ الحس والرأي. فنوعى ما ذكرنا وتدبره يعلم منه ما يعلم من نفسه، اذ هو فكر في مصادر علمه، والأخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره، وهو أن الاصل في أخبار جميع الناس الصدق، وإن الكذب إنما يقع لاسباب عارضة، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير المدول تصديقاً جازماً لا يزاحمه شك ولا احتمال، ولا يخطر لهم فيها النقيض على بال، ومنها ما يحزمون باستحالة وقوع نقيضه عادة وإن جاز عقلاً، كبعض أخبار المدول الثقات الضابطين الحالية من الشبهات، ورجال الحكومة المسؤولين في الرسميات.

بل أقول أن من هذه الأخبار ما يجزم العقل بصدقه وامتناع نقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يبني حكمه على الاختبار، ويزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة الذي يحيز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي الى مثل ذلك حتماً. وقد نسير هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم انه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلميها في ملكة العلم إنها صفة توجب انكشافاً لا يحتمل النقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن نقضه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطاً في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الإيمان محالاً، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الإيمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل النقيض ليس شرطاً لصحة الإيمان، وإنما الشرط أن يكون المؤمن جازماً بما يعتقد، غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس. — اراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه اظهار الجحود والمخالفة كبراً وعناداً لا اعتقاداً فان اعتقاد

(المنار: ج ٦) (٤٤) (المجلد التاسع عشر)

٣٤٦ ضبط المحدثين للأخبار وتعريف الحديث الصحيح [المنار : ج ٦ م ١٩]

تقيض المتيقن ليس في استطاعة الموقن، إلا إذا اختلط عقله، واختل فهمه، وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الاذهان له، إذا كثرت المعاندين للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك الجحود منهم بعد اذعان، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وفلسفة اليونان وإذا فكر السائل في العلوم العقلية وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الأمم رأى أن أكثر أخبارها المقطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم عن بعض، فإذا اشترطنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي، وأن لا نعد شيئا منها حقا ثابتا إلا إذا تلقيناه بالتواتر اللفظي، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية، وما يبنى عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية، وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض؟ بعد هذا كله أقول أنه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ما عرف عن المسلمين من العناية بنقد الأخبار النبوية وتمحيصها، وضبط متونها وحفظ أسانيدها، بل كانوا ينقلون الأخبار التاريخية والأدبية والشعر والمجون بالأسانيد المتصلة، ووضعوا كتب التراجم لجميع أصناف العلماء والأدباء كما وضعوها من قبل لرجال الحديث، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك، ولكنهم دققوا في نقد رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر، فإذا كان ما صحح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجزم به فبماذا نثق من أخبار البشر، وإذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه أن يرد مضمونها إذا كان في عقائد الدين، بناء على كلمة عرفية للمتكلمين؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معمل ولا شاذ. وينافي العدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الاتهام به والفسق والغفلة وكثرة الغلط والجهالة — أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل، ولولا هذا الشرط لا اخترع الكذابون أسانيد كثيرة لأصل لها وخذعوا الأمة بها — وكذا البدعة فمن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الأول لا يحكم بصحة حديثه قيل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المعتمد، بل لا بد لثبوت ذلك من روايته عن غيره.

والضبط عندهم ضبط المصدر وضبط الكتاب، فالأول الحفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء، فإن غلط أو أخطأ في الأداء لا يعد حديثه

[الماز: ج ٦ م ١٩] التدليس والحديث المعنعن والمضطرب والشاذ والمذكر ٢٤٧

صحيحاً . والثاني : حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة ،

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من رواته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الاقطاع ، وهو أقسام ، فالحديث (المنقطع) وهو ماسقط من سنده بعض الرواة لا بعد صحيحه الا انهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي : قال رسول الله (ص) كذا . فالجمهور يتوقفون فيه ، وبعضهم يحتاج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أو ثقات التابعين كسعيد بن المسيب ، دون من يروي عن غيرهم كالحسن البصري ومن (الانقطاع) عندهم (التدليس) وهو رواية الراوي عن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوم السماع منه ايها ما لا تصريحاً ، كان يقول المدلس قال فلان — أو : عن فلان ، وقد اختلفوا في حديث المدلس قبل لا يقبل مطلقاً وقبل الا فيما صرح فيه بالسماع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدلس الا عن ثقة كابن عيينة .

ولاجل هذا شددوا في قبول الحديث (المعنعن) أي الذي يقال فيه عن فلان عن فلان . فقالوا عنعنة المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في العنونة معاصرة الراوي لمن روى عنه ، والبخاري اشترط العلم باللقبي ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال العدل الثقة الضابط عن فلان أو قال : قال فلان كذا — لا يعتد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد لقي ذلك الرجل واجتمع به ، ولكن مسلماً يكتفي بالعلم بأنهما وجدا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون لقيه وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عندهم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو متنه اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدال راوٍ براو أو متن بمتن أو تصحيح في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في ألفاظ المتن . فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ما خالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف للثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفه الذي هو أوثق منه

٣٤٨ نتيجة البحث وخلاصة الجواب [المنارة: ج ٦ م ١٩]

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المنكر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه، ويقابله (المرووف) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتج بحديثه ومنها (المعلل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المنقطع ورفع الموقوف وإدخال حديث في آخر أو إدراج كلام الرواي في المتن أو الإدراج في سياق الاسناد.

ولوثنا أن نبين تدقيق علماء الجرح والتعديل في قدر رواة الحديث لرأى فيها غير المطلعين عليها من القراء ما لم يخطر لأحد من أمثالهم على بال - ولعلوا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصدوقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لما عدوا روايتهم صحيحة ولو لعدم اتقان الحفظ والضبط. ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقات في الرواية عن أهل قطردون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لأنه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل، أو هرم خائنه به الذاكرة وقد جودة الضبط. وقد وضعوا كتباً يبينان الأحاديث الموضوعة خاصة بينوا فيها وفي غيرها أسباب وضع الحديث والكذب فيه وعلامته وأسماء واضعيه والكتب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء، كما وضعوا عدة كتب للأحاديث التي اشتهرت على الاسنة وبينوا درجاتها، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها. ولكن عناية العلماء بنقد المتن وعرض الأحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي بينوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد، وقل أن بهم المتشككون إلى المذاهب بنقد متون الأحاديث إلا إذا كانت مذاهبهم مخالفة لها فكان هذا من سيئات التعصب للمذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فنقده ما شرعناه علم أن أكثر الأحاديث الآحادية المتفق على صحتها ذاتها كانت أكثر الأحاديث المسندة في صحيح البخاري ومسلم - جديرة بأن يجوز بها جزماً لا تردد فيه ولا اضطراب، وتعد أخبارها مفيدة لليقين بالمعنى اللغوي الذي تقدم، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها، فكيف يمكن لمسلم يجزم بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والإيمان؟ ولعلم أنني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم مثته ولا سنده، فيخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم،

ومن غير الأكثر ما تظهر فيه علة في متنه خفيت على المتقدمين أولم تنقل عنهم وذلك نادر. وقد عد بعضهم هذه الأحاديث المتفق على صحتها مفيدة للعلم اليقيني الاصطلاحي إذا تعددت طرقها، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبه الفكر ما نصه:

(فائدة) ذكر ابن الصلاح أن مثال المتواتر على التفسير المتقدم يعز وجوده إلا أن يدعي ذلك في حديث «من كذب علي متعمدا فلينبأ مقعده من النار» وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لأن ذلك نشأ عن قلة الإطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا، ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفها إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعددت طرقه نعددا تحيل العادة توأما (فيه) على الكذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثيرا

﴿الزار، وهل اعتقاد تأثير الولي والعفريت فيه شرك جلي﴾

(س ٩) من أحد المشتركين في القاهرة - ع . م

حضرة الاستاذ العلامة المفضل السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أهنيكم أولا بسلامة العودة من الاقطار الحجازية المباركة وأدعو لكم الله سبحانه وتعالى أن يجعله حججا مبرورا ان شاء الله سيدي استشكل عليّ أمر بخصوص ما يسمونه (الزار) الذي يستشفي به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراض العصبية فأحييت أن أعرضه عليكم راجيا التكرم بالإجابة ولو تأشيراً على هذا بصفة خصوصية

«أحدى السيدات مصابة بمرض عصبي: يأتيها غالبا على نوبات ربو وآلام شديدة بالمعدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عمومي شديد، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحمل، عرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل، ثم إنها على صلاح وتقوى، وقد كانت لا تعتقد بمسألة الزار ولكنها تحت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والدتها وأخوات اعتقدت أخيرا وتوهمت أن أحد الأولياء

٣٥٠ وحدانية الأفعال عند الأشاعرة [المنار: ج ٦ م ١٩]

أو أحد العقاريت هو الذي أصابها بهذا المرض الهستيري من زمن وصمت على عمل حفلة الزار بمصاريف من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بخسارة دينه في مصاريف باطلة على عقيدة باطلة »

والآن ألا ترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة تأثير الولي الفلاني أو العقريت الفلاني يؤدي بها إلى الشرك الجلي وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجغرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ فتفضلوا بإفادتي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئاً من التفصيل ؟ وتفضلوا بقبول مزيد تشكراتي وجزيل ممنونتي سلفاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الإيمان بوحدة الأفعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة ، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضرر فهو من فعل الله تعالى وحده ، ويصرح الأشعرية في كتب العقائد بأن الأسباب الظاهرة للحوادث - ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان - لا تأثير لها في نفسها ، وإنما يخلق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها ، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحتراق والإرواء ، إلا أن عادة الله قد جرت بخلق الاحتراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب ، كالتداوي والاكل والشرب ، فينبغي القيام بالمشروع منه وهو ما جرت سنة الله تعالى يجعله سبباً مطرداً ، وما كان سبباً غير مطرد كرقية الممسوع وما في حكمه فإتيانه ينافي التوكل وكمال الإيمان والتوحيد ، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سبباً البتة أو قامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد - كالزار في بلاد مصر والسودان ، فلا عذر للمؤمن في الاقدام عليه ، أي لأنه من الجبت (١) الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة ، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شيخه ينفع ولو بقدرة خلقها الله فيه ومزية أعطاه إياها وأن عفريته يضر ولو بقدرة خلقها الله فيه أيضاً - فهو عند هؤلاء المتكلمين مشرك بالله تعالى . فالخطر على متحلي خرافات

(١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

[المنار: ج ١٩ م ١٩] لا تأثير لمخلوق بذاته ولا في إرادة الله ٣٥١

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينتمي اليهم أكثر الخرافيين؛ وأما مذهب غير هؤلاء من المتكلمين ومحققى أهل الأثر من الحنابلة وغيرهم فهو أن الله تعالى جعل الأسباب مؤثرة بمخوَص خلقها فيها كالأحراق في النار، والإبراء في الماء، ومقاومة سير المرض في الدواء، ومنها إرادة الإنسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كغيرهم إن الأسباب تعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس، واتخاذ الأسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا، وأنه لا تأثير لمخلوق فيما وراء الأسباب التي جرت سنة الله في الخلق يربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو يضر بذاته دون ما جرت به سنته تعالى في الأسباب، أو بتأثيره في إرادة الله تعالى وقدرته؛ بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولا ما ليفعله بمحض إرادته حسب علمه الأزلي - فهو مشرك بالله كافر بوحديته، لا اعتقاده أن غيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية - وهو المنفرد بذلك - أو بتأثيره في إرادته - والاله الخالق القديم لا يكون محلا للتأثيرات الحادثة، ويستحيل أن تكون إرادته تابعة لإرادة أحد من خلقه، الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره إذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين، وأنه ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح، لا على مذهب المتكلمين، ولا على مذهب الأثرين، وإنما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين، كالعادات السخيفة والعلاجات الضارة، المبنية على تجارب فاسدة ناقصة،

ولكننا مع هذا كله لا نجزم بكفر امرأة تصدق ببدعة الزار، ولا نجعلها به مشركة بالله عز وجل، بل يجب أن نحتاط في مثل هذا الحكم، وندفع الجزم به قبل العلم بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات، كما يجب أن نحتاط تلك المرأة باتقاء التصديق بهذه الخرافات، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الأقوال، فنقول نحن عملا باحتياطنا: يجوز على هذه المرأة أن تؤمن إيمانا جازما بأن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، وأن ما اقتضته إرادته وجرى به قدره من ربط الأسباب بالمسببات، هو عام مطرد في المخلوقات، وأنه لا قدرة لمخلوق على شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع الخلق سواء في المعجز عما وراء

٣٥٢ الشبهات المانعة من تكفير معتقدة الزار [المنار: ج ٦ ص ١٩٣]

الاسباب ، كما أنهم سواء في جرياتها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يعرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيخبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملابس عفريت من الجن لها ، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلها ، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفعلة الشفاء وحدها ، وان علة نفخها أن العفريت الذي يلبس المريض في هذا المرض يزعمه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الفرار ، بين تلك الاغاني والمعازف ، والعزائم والعزائف ، والقرايين والذباح ، وما في التضمخ بدمها من الفضائح ، - ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولا سيما بعد اليأس من معالجة الاطباء المشهورين ، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان ، لان طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والغيطان ، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الآلية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام ، وان المستحل لما يعتقد حرمة يعد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول اني لا أستعمله ، ولكنني آخذ بقول من قال ان التداوي بالمحرم جائز اذا لم يوجد غيره ،

فاذا جاز أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وان كان باطلا في نفسه فكيف نتجراً على الافتاء بردتها ، وبطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام ؟
أما ما يحسن أن توعظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سبباً من اسباب الشفاء من هذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفعه باطل ، وأنه عمل لكثيرات فلم يفد ، وأن من اتفق انهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وانه لو كان علاجاً نافعاً بالتجربة الصحيحة لعملت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبنية على إتقان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الجاهلة من أهلها ، واذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتملة على عدة بدع محرمة في الدين ، محتقرة عند جميع المرتقين ؟

[المنار: ج ٦ م ١٩] علاج الروماتزم السيلاني. استدراكان ٣٥٣

مَدَامُ دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق ممدفي

١٥

المعالجة - يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلاً علاجاً فعالاً، وتعالج المفاصل بالقلاويات ويودور البوتاسيوم . وينبغي مراعاة القوانين الصحية باستنشاق الاهوية الجيدة وتعاطي الاغذية السهلة الهضم والمتويات كركبات الحديد وزيت السمك ونحوها . ويدلك المفصل ببعض المراهم المسكنة أو الزنبقية، أو يدهن بصبغة اليود. وتجب اراحته من الحركة مطلقاً، ولكن بعد زوال الالتهاب الحاد ينبغي ذلك المفصل وتكيسه وتليينه باليد والعلاج باللقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصاً في الاصابات المزمنة أي التي طال مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بمحقن مقادير صغيرة من اللقاح ثم تزداد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني الا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تنشأ من الحقن الاول . وهناك مصل لعلاج هذا الداء أيضاً لا يخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ١٩١٦ رأي لا حد أطباء الانجليز في عدوى الالتهاب السحائي الوبائي وملخصه : ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان - لا شبيهاً به فقط كما قلنا سابقاً - وان قمل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بامتصاص دم المصاب بالالتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل القمل اليهم . أو بتلوث القمل

(المنار: ج ٦) (٤٥) (المجلد التاسع عشر)

٣٥٤ تطهير الماء والخضر بغير الغلي. تسمم الدم [المنار: ج ١٩ م ١٩]

به مما يسيل من المصاب بالسيلان في ملابسه من الصديد ونقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد ويسير في الاوعية اللعناوية الى السحايا وغيرها كالمفاصل التي قد تلتهم أيضا في هذا المرض ، وأنكر هذا الطبيب انتقال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أو الأنف . وقال : ان المصاب بالسيلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحايه الا قليلا . فاذا صح هذا الرأي — والغالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتناؤه . ومن هذا الرأي تفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته ، ونظافة الجسم بالغسل والحلق ، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الغراء التي شرحناها سابقا . وتري مما تقدم أن القمل يقتل بالحمى التيفوسية والراجعة وبالالتهاب السحائي أكثر مما تقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل العامي القائل « وضع تعالى سره في أضعف خلقه » وتري منه أيضا مقدار الخطر الذي يتهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فإن أكثر الزواني مصابات بالسيلان الحاد أو المزمن وبعضهن يرى بملابسه وفراشه القمل

(الثاني) ان من أسهل الطرق لتطهير الماء والخضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بي سافات الصوديوم] وتسمى أيضا [كبريتات الصوديوم الحمضية] بنسبة ١ : ١٠٠ ويترك الماء مدة نصف ساعة فان حامض الكبريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية Miracidia Cercariae] ولا ضرر من شرب هذا الماء . واذا نعت فيه الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخشبية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فان الافضل تطهيرها بالغلي . وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحمى التيفودية والكوليرا والدوسنتاريا وغيرها مما يتلوث به الماء والخضر ، فإنها كافية للتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والفاكهة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم، ويسمى ذلك باليوانية



[سپريميا Saproemia] ومعناها حرفيا، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سمومها في الدم، ويسمى ذلك

باليونانية [سبتيسيميا Septicaemia] ومعناها حرفيا ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكون أخرجة في

عدة أجزاء من الجسم، ويسمى ذلك باليونانية [بيميا Pyaemia] ومعناها حرفيا

الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل

البزري ، ومنها ما يكون عنقوديا أو سلسليا . والسلسلية هذه أشدها خطرا كسابق، ومن

الميكروبات العنقودية ما يكون لونه أبيض أو أصفر، وبشاهد ذلك اذا تجمعت منها

جموع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى تحدث

الصديد كباسيل الصديد الازرق [Pyocyaneus] ومن ميكروبات الامراض

الآخري، ما يحدث الصديد أيضا كميكروب الحمى التيفودية والدرن

والميكروبات البزرية المذكورة منتشرة كثيرا وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون

في عملياتهم فيتعونها بالتطهير التام بالغلي وغيره، فلها اذا وجدت أي سحج أو جرح

في الجلد أو الأغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهابا فقيحا ، وتزوب الانسجة

ويتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد

ونحوهما . فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها، واذا أصابت

الانسجة الغائرة نشأت الاخرجة وما شاكلها، واذا أصابت الأغشية المخاطية التهابت

وحدث منها الزكام ونحوه

واذا كانت الاصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول

أي توعك أو حمى، لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جدا، ولكن اذا

كان موضع الالتهاب كبيرا نشأت الحمى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية

ونشأ الشكل الاول المذكور هنا، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدث الشكل

الثاني، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيرا، واذا رسب بعض هذه الميكروبات

المتنصعة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة. وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الاوعية اللمفاوية وفي الثالث الاوردة ، وفيها يدخل أيضا بعض مواد التهاية عفنة مع الميكروب

أما أعراض الشكل الاول فهي ارتفاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الاخرى للحمى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث، غير أن المعتاد فيهما أن تبدئ الحمى برعدة شديدة ويشتد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتيفوس، فيعتريه الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحمى، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي القسم الصديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينحف جسمه بسرعة وبصفر لونه وقد يصاب بالقيء الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحمى في هذا الشكل متقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض . وتختلف باقي الاعراض باختلاف العضو المصاب بالآخرجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة . ومدة هذا المرض لا تزيد عن ستة أيام غالبا ولا تمتد إلى ما بعد العاشر كذلك، اللهم الا اذا أزمى المرض وحينئذ لا تصاب الاحشاء وإنما تكون الآخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . واذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كـ بعض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — تفتح الآخرجة وتطهر وتضمد يوميا فان كانت الحمى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تعسر الشفاء أو تعذر، ويعطى المريض المنعشات والمغذيات وترعى معه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بمقن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الاحوال، وتجربته اذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه - أن يتني الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وان كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوميا حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يتراكم فيه شيء منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سحه في البنية. ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

مرض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة؛ وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لان أكثر الناس يصابون به في صغرهم وهو يحميهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الحميات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثير لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذاكثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القدماء يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخاط المصاب، ولكن لم يكتشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [بورديه Bordet] و [جنجيو Gengou]

وهذا الميكرب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

المحاط التخين الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطا بميكروب النزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض باصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوبا بحمي خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة ، ثم يسمع هذا الصياح المخصوص الذي يشبه صياح الديك ، ولذلك شبه هذا المرض به ، فبينما يكون الطفل المصاب في لعبه تنتابه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٢٠ مرة من الشهيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يعقبها زفير له هذا الصوت المخصوص ، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من البلغم اللزج أو يتقيأ ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيضيق ما بينهما ، أو أنهما لا يتسعان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير . وفي أثناء هذه النوبة يحتمن الوجه أو يزرق وينتفخ وتكاد تخرج العينان منه ، ويتدلى اللسان وقد تخرج الشايبا قيده فيبصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقا على منع هذا السعال ، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل النزف تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في مخه وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو إغضابه أو نزاع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة . وفي أكثر الأحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة . ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حنى عنده ما لم يتضاعف المرض ، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد إلى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجا حتى تزول تماما أو يعقبها سعال بسيط كالسعال الأول بدون صياح ويمكن بضعة أسابيع . وهذا المرض قل أن يميت مالم يشتد تشنج المزمار أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والمقاييل (العواقب) - من مضاعفات هذا الداء النزلة الشعبية أو

[المنار : ج ٦ م ١٩] معالجة السعال الديكي . الالتهاب الرئوي ٣٥٩

الشعبية الرئوية قترفع الحمى ويضيق نفس المريض كثيرا ، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصياح المخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحمية الاخرى . ومنها التهاب الاذن والتشنجات . ومن العقاقيل استمرار النزلة الشعبية والامفيزيما^(١) الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وفقدانها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قليل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقاقيل المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء ، ولا يجب عليه التزام الفراش ما لم يتضاعف المرض . وهناك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلاءدونا ^(٢) Belladonna] فيعطى من صبغتها نقطتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر تقطا أكثر بحسب السن ، وهناك مواد تستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة ، ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بجوار البحار فان ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفصيحي (٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب الفصي ، ويختلف النوعان اختلافا كبيرا من الوجهة الميكروبية والمجهريية والعرضية أما النوع الاول فقد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر ، وهو كثير الاصابة للأطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

- (١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لانتفاخ الرئة في هذا المرض
- (٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا «السيدة الحسناء» تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملنه لتجميل وجوههن ، ومن أصوله الفمالة مادة سامة جدا تمدد الحديقة فتجعل العين نجلاء

٣٩٠ أسباب الالتهاب الرئوي [المنازل: ج ١٩٨٦]

ميكروبات الصديد المعتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالكلاميديا أو الحمى التيفودية أو الانفلونزا أو الطاعون.

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيًا كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحميات الأخرى العفنة كالحمى التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران. وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البزري المزدوج اكتشف في مغفل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٥ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فريدلندر Friedlander] سنة ١٨٨٥ ولكنه قليل الحصول فان ٩٥٪ من الإصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الأول البزري.

الأسباب يحدث هذا المرض للذكور أكثر من الإناث بنحو الضعف، ويصيب الناس في جميع الأعمار من سن الطفولة إلى سن الشيخوخة، ولكنه أكثر حصولا للشبان إلى أن يصابوا إلى متوسط العمر (من ٣٥ - ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكثر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعًا بالرطوبة أو البرد.

ومما يساعد على حصوله كثرة التعرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية، والانهك في السكر أو الجوع.

وهذه الأشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا، والوفاة به كثيرة الحصول. والاصابة به لا تحمي من معاودته، فقد شوهد أن بعض الأشخاص أصيب به نحو ١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لا يصاب به الشخص سوى مرتين.

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه، فإذا ضعفت البنية بمثل الأسباب المذكورة هاجمها الميكروب وأحدث بها المرض، وقد يتصل بالإنسان أيضا من شخص آخر مصاب بالالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الإنسان الأخرى مثل البلعوم والشفاف والمفاصل والسحايا، وقد يحدث أخرجة بالأحشاء وتحت الجلد.

ولم يجزم العلماء إلى الآن أن كان وصول هذا الميكروب إلى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، فقد شوهد وجوده في نفس الدم فاذا ضعف عضو بسبب ما رتب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالغيران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبها بشيء . وطوله يتراوح بين ٥٥ من الميكرون و٧٥ منه . ويظهر تحت المجهر كأنه محاط بغلاف أو هالة صافية اللون يكون فيها عادة بزرتان أو أربع

الاعراض — يتبدئ المرض فجأة برعدة شديدة وترتفع الحمى بسرعة زائدة إلى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الأخرى المعروفة وأحيانا (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صديئا — كأن به صدأ من الحديد لاجرار لونه — ويكون شفافا خاليا من فقائيع الهواء لزجا بحيث يشتد التصاقه بالوانى ويشاهد في هذا البصاق الميكروب

والاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وغيرهما من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عالية مدة المرض كلها ، ويكون خد المريض وجبته محتقنة يعلوها قليل من الصفرة أحيانا ، ويكون تنفسه سريعا جدا حتى قد تصل مراته إلى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعتريه الهذيان بخلاف الحيات الأخرى ، إلا في بعض الحالات الشديدة فقد يهذي ليلا ، وبعد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصبح طبيعية ، وينزل اللسان بعد الجفاف ويحسن المريض بالتحسن العام ، ولكن هذا البجران قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاصابات تنخفض الحرارة بالتدريج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، ويحول لون البصاق الاحمر فيصير مصفرا أو مخضرا ، ويكون به صديد وتقل لزوجه ، ثم يصير بالتدريج طبيعيا

والموت يحصل غالبا من وقوف القلب ، أو من اصابة الرئة الأخرى السليمة (المنار: ج ٦) (٤٦) (المجلد التاسع عشر)

٣٦٢ مضاعفات التهاب الرئوي ومعالجته [المفاز: ج ٦ م ١٩]

فيسرع التنفس والنبض ، ويزرق الوجه ، ويكثر الهذيان ويمتد الغيبوبة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قمته ، والجهة اليمنى أكثر من الجهة اليسرى ، وقد يصيب الرئتين معا ، ولكنه يجعل باحدهما قليلا عن الاخرى وإذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وثقل وزنها ، واحمر لونها ، وصار قوامها هشا بعد الوفاة ، وامتلاّت حويصلاتها بكرات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تمتص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحويصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمرة الى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كمنسوج الكبد حتى سماه الاطباء (بالتكبد)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الأكثر من انتشار ميكروب الالتهاب الرئوي في الاعضاء الاخرى فقد تلتهم البلورا وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضا التهاب الشغاف أو الاعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الاصابات . والمرض خطر جدا لغير المعتدلين ولضعفاء البنية . وما يندر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضعف النبض والزرق والتهاب الرئة كلها أو امتداده الى الرئة الاخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال . وفي وقت شدة المرض يبقى معتمدا بظهره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعا على الفراش قليلا ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء نقية ، والغذاء من السوائل السهلة المضمغ المغذية كاللبن والمرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن تطلق الامعاء بالمسهلات ، وتعطى للمريض المواد المعرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . وما يخففه أيضا اللبخ الساخنة على الجنب الملتهب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة الملتبهة أكياسا فيها ثلج لتخفيف الألم وخفض الحرارة

[المفاز: ج ٦ م ١٩] بلاد العرب وأحوالها منذ العصر الخالية ٣٦٣

وهذا المسلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فاذا اشتدت وظنة المرض وضعف القلب وكثر الهذيان وجب اعطاء المريض المنعشات كالأستركين والديجيتالا والنوشادر أو قليلا من الخمر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وكلاوريد الكالسيوم (١٠ قححات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقو للقلب فان أكثر الخوف هو من وقوفه

فاذا ازرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادرة الى فصد أو على الأقل تركيب العلق على الصدر اسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٠ أو ١٢ أوقية من الدم اذا كان الشخص قوي البنية ممتلئا به . واستنشاق الاكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ الى ٧ قححات كل ٣ أو ٤ ساعات) لاجراج المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو اللقاح فلم تظهر له فائدة كبيرة فاذا جازز المريض طور البعران وجبت مساعدته بالأدوية المقوية والاعذية الجيدة

بلاد العرب وأحوالها

منذ العصر الخالية

نشرت مجلة الشرق والغرب التي أنشأها دعاة النصرانية (المبشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت ان ما أورده فيها هو نتيجة ما وصلت اليه مباحث العلماء الذين بنوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اشتات الروايات ذات الطارق المدينة القديمة « فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية » — قالت — ولعل أشهر علماء الافرنج الذين عالجوا هذا الموضوع الباحثة « قيطاني » — أو كاتاني كما يرمز به آخرون — الايطالي الذي اشتهر بتصنيفاته المدينة عن العرب

٢٦٤ خصب جزيرة العرب واعتدالها في فجر التاريخ [المنار: ج ١٦ م ١٩]

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه المعجالة على ما جاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته »

ونقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بتشويبه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لان الاتحاديين ترجموا ما كتبه فيها بالتركية كما يننا ذلك في منار هذه السنة (ص ١٦٢ ج ٣) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدقق في تاريخنا مما لا نستغني عنه ونرد لو ترجم كلها . ونحن ننقل عن هذه المجلة ما اقتبسته عنه من المباحث المتعلقة بمحالة جزيرة العرب الجولوجية وطبيعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها منها الى حيث أقاموا بناء الحضارة القديمة . وهذه عبارة المجلة بنصها لم نصحح منها الا عبارات قليلة : —

لقد أثبتت المباحث الحديثة أن الانسان وجد على الارض قبل المسيح بألوف من السنين وان بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم . فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد الخالي ياترى ؟ لا ريب في انها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — انها برية قاحلة ذات أراض جرداء خالية من الماء^(١) . على انها في العصر الجولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه قسماها الشماليان أشد برداً مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحاً مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصاً للرطوبة فيزداد به هطل الثلوج في الشمال وهطل الأمطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء عديدة من آسيا وأفريقيا بقاعاً منخصة جداً وهي الآن قفار جرداء . وما الاودية الناشئة سوى مجار كانت تندفق فيها الانهار

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تتلقى رياح السموم وتجري منها أنهر على مصاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج المعجم . ومن تلك الانهر نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير وكان

(١) المنار : كان الصواب أن يقال قليلة المياه

[المنار ج ١٩ م ١٩] هجرة قدماء العرب واستعمارهم العراق وسورية ومصر ٣٦٥

منبعه في الهضاب المكية . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج المعجم

ولا يخفى ان للحالة الجوية تأثيراً عظيماً في السكنى ، وهذا يبين لك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك انه في تلك الازمنة الطيبة كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الاحوال الجوية في نصف الكرة الارضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل المطار . وأصبحت البلاد التي بين أوروبا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغيير العظيم . وبتأدي الزمن بدأ شمالي افريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملائمة البلاد لسكنائها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفا من السنين وكان تدريجياً وبهذه الطريقة يمكن تحليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كلها غزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حرية بل كان معظمها ناشئاً عن اعتبارات سلمية بحتة كهجرة الارلنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنًا وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقاً وشمالاً وغرباً

وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية، اذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية الى الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر (٢) لوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضر موت) فقامت بنفسه

فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذاً شمالاً الى فلسطين وسوريا أو غرباً الى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقياً الى العراق ووادي دجلة والفرات وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعها المهاجرات

٣٦٦ هجرة العرب قبل الاسلام وبعده الى حيث استعمروا من البلاد [المنار: ج ١٩ م ٦]

الآخري في الأزمنة التاريخية المعروفة .

- (١) المهاجرة الاولى — قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الامة البابلية، ويعتقد العلامة (قيطاني — أو — كاتاني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا أولا مصر العليا كانوا ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم الى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه^(١)
- (٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين ستة آلاف و ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان اتجاه سيل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه و يتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير
- (٣) واما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نزع الاشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة آشور وعاصمتها نينوى على أهالي دجلة وفي ذلك الزمن عينه نزع الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين
- (٤) هجرة الاراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الاراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة اذ كان يبدى طريق التجارة المار بحلب ومن الشعوب السامية التي لم تنزع من بلاد العرب القبائل الصائبية والحيرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتأدي الزمن نشوءا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقيها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي الى غزة وهذا يأتي بنا الى :
- (٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

(١) المنار الامر أعظم من ذلك فاعلم النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه محرف كما علم بالتفصيل مما نشرناه في مجلد المنار الثامن عشر عن علامة هذه اللغة أحمد كمال بك

العربية لتستوطن البلاد المجاورة فان بعضها سبق فاستوطن غسان والحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فعودهم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة أخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها فقوهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجملت بين القبائل المتخصصة وجعلتهم يوحدون قواهم ويوجهونها الى الخارج. وهكذا فتحت ابواب العربية وخرج العرب ليغزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية

وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات وآرب مختلفة فمنهم الشديد القوي كعمرو، والقائد المحنك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم المسوق الى الحرب بطمع الاسلاب^(١). على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهدهم ومنحهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة شأن يذكر. وكان الجانب الأكبر من جيش محمد (ص) رجالا قدينا حديثا بالاسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة لان معرفتهم كانت ناقصة، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليمسكوا بعروة الاسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعة^(٢). وكان في جيش الميدان الغربي مئات من المكيين الذين أبدوا الامويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

(١) المنار: يعني أن الجمهور الاعظم من العرب كانوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية التي يقوم بها دينه وكتابه، وادناهم منزلة أفراد يظلمون في الغنائم والاسلاب كما هو شأن أرقى الامم الآن في حروبها

(٢) هذه دعوى باطلة وتعليقها الذي علمها به باطل فان المسلمين ما قبلوا الى سعة العيش التي يعينها في عهد النبي (ص) بل بعده اذ فتحوا الشام ومصر وفارس. وابن السعة في جزيرة العرب وابن ما وصفها به آقا من الضيق؟

وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في يثثة هي هرية أكثر منها اسلامية .
أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها
من بخارى شرقا الى أسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات
السامية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير
جداً لا تزال نشاهد آثاره حتي اليوم وهو ناتج عن نفس الاسباب التي أفضت الى
المهاجرات السابقة أي انحلال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الامة العربية ظهورا بينا واتخاذها مجرى
جديداً وبيئة مشعة .

وقد ذكر الاستاذ هر كرونجه أن عرب حضرموت الذين هم أقصر سكان
تلك البلاد فكوا القبود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند
الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطا غريبا . فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة
مع أنهم كانوا يجهلون في موطنهم الأصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنتقل الى
قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الاغنياء . ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال
والتاجر فقط بل في الامور العقلية أيضا

وهذه صورة مصفوفة للعرب الذين نزلوا بسوريا وبلاد فارس في المئة الاولى
الهجرة . وهي تنطبق على حالة العرب عموما منذ ألف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر دولة شريف مكة بنهضته الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون
الضيم ويعشقون الحرية والاستقلال ، وهم يبذلون كل مرتخص وقال في سبيل الدفاع
عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباغيات
جديدة مذهشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟



[المنار: ج ١٩ م ٦] المنشور الثاني من منشورات شريف مكة ٣٦٩

المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء "رابع من منار هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مسلي الارض ميفنا لهم سبب نهضة الحجازيين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم ننقل لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٥٤ لتعميم فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر ، وقد ضاق عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجاز ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لقد رأينا دفعا للالتباس ومنعنا لما عسى أن يحدث من التردد في حقيقة قيامنا ونهضتنا معاشر الحجازيين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردفه بهذه الاسطر ليكون منها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاطلاع على نياتنا ومقاصدنا المتعلقة بكياننا من حيث هو ملتزمين فيها أقرب المواد عهداً وأبسطها دلالة

من المعلوم ان عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر أقطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الابطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مراقبتها وعامة تشكلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة وأهلها عامة ، حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته أو الى مكان عمله ليتحصل على ما يسد به رمقه ورمق أولاده وسائر أهل بيته الا ويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والحمال والمحتطب . فلاما التي أصيب أفرادها بمثل (المنار : ج ٦) (٤٧) (المجلد التاسع عشر)

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفعت بنفسها في هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لا سيما وان واردات الدولة من الضرائب (*) المفروضة على مساعي الافراد المنكودي الحظ بين تجارية وصناعية وزراعية هذا أحد الأسباب التي حملت عقلاء المسلمين على استنكار دخول الدولة في الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة . وهنالك أسباب خارجية تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها مترامية الأطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان بحسين الصلات والعلاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الأعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الأرجحية في البحار فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منجازه الى فريق آخر كثير الطمع واسع الجشع اضيق بلاده عن ساكنيها تشام من ذلك أهل النظر والروية من المسلمين لعلمهم بما يكون من نتائج السيئة قبل حدوثها ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما سئلت تلفزيونياً عن رأيي في هذه الحرب، فأجبت بما اقتضاه واجب النصيح، وهذا مما أئخذ دليلاً على اخلاصي لهذه الدولة وحرصي على سلامتها وصيانة بيضة الاسلام

وها قد حصل ما كنا نخشاه وانتهت الدولة الى ما نخوفناه، وأصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في أوربا أسوار الآستانة تقريباً . وان طلائع جيوش الروس تمخطف الاهالي العثمانيين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل، وطلائع الانكليز يسوق ألوف الأسرى من أبناء هذه المملكة في بادية العريش بعد ان استولت على ولاية البصرة وشطرن ولاية بغداد، ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى ان الحرب لا تزال قائمة على ساق وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استجلاء النتيجة لا يخرج عن أحد أمرين فاما ان نستسلم الى هذا الخطر الداهم حتى نزول من حربه العلم وأن نسمي الى الخلاص منه

(*) المنار: قوله: من الضرائب — خبر إن لا بيان للواردات كما يتوهم بادئ بدء

إننا نترك للعالم بأسره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل رغبة في أنهم يهذروننا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل اننا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا . ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت العوبة في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لما تحركنا بشيء مما قمنا به، ولصبرنا وتحملنا كل ما يحملوننا إياه . ولكن أتى لنا ذلك وقد صار من المقطوع به اننا لو استسلمنا لما هم سائرون بنا اليه لأدى ذلك بنا وبهم الى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الاخرى على مرأى منا ومسمع

نعم اننا نقول هذا ونترك الحكم فيه الى انصاف العالم أجمع، ولكننا لانستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وابادة من بقي لها من الرعية وهم سكان الانضول وغيرهم انما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياءهم، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الاساسية التي وضعها عظماء سواس العثمانيين وهي خطة موالاته الدولتين المعظمتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها الا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم ووفائهم انه لم يمض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة اليه حتى انضموا الى أعدائها وأعلنوا الحرب عليها واننا لا نستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواه الاشهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به، أضف الى ذلك ما يلقاه الاهالي العثمانيون لافرق بين مسلمهم وذميهم من ضروب العسف والجور اللذين يحجب ركامهما ضياء الشمس، لا سيما ما ارتكبه القابضون على ازمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياءهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والارمن خلافا لما جاءت به شريعتنا المطهرة، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم مما هو معلوم الى يومنا هذا كإيقاعهم بأهالي العوالي التي هي إحدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقن الى الثكنات العسكرية بما تأباه الشريعة الاسلامية والشهامة العربية

نعم اننا قمنا ولا يزال قيامنا ومجاهرتنا بالعداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وطلمت وشيعتهم . وانه ايشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيت العثماني، ودليلنا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبة اعميده الشهيد السعيد ولي عهد السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . وانا نتبرأ منهم ونظهر لهم العداوة والبغضاء، ويشترك معنا فيها كل بر وتقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد الاسلامية، بسبب ما أتوه من الوبال، وماجروه على دولة الاسلام من الاضمحلال، حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة حق عليها نحيا وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامامنا من عبر الدهر ما نسرده على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعوه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي بأن يؤلفوا من مخدرات نسائهم جمعية نسائية، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له مآدبه في نادياها، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن دعاهم من سائر رجاله واعوانه، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن اكرام ضيوفهن . وعند ختام الحفلة شرعن في القاء الخطب والانشيد بين تلك الجماهير من الرجال كما نشرت ذلك صحف سوريا على اختلاف مشاربها مظهرة الاعجاب والفخر ارضاء لجمال باشا . فسبحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)^(١) وقوله تعالى^(٢) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

(١) وقع في جريدة القبلة غلط في هذه الآية نصه : أي لا يعرفن فيؤذين . وهو غلط مطبعي يوهم غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح . فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهم حرار لا إماء فلا يؤذين أهل الرية . وسبب ذلك أن البغاء في بلاد العرب كان محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هند للنبي (ص) عند مبايعة النساء على ترك الشرك والسرقة والزنا : أو تزني الحرة ؛ فكان الفساق من المنافقين والمشركين يعرفون الاماء بتهتكهن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر ليميزن به فلا يتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البغاء بفسوخ الاسلام حتى تركه الاماء أيضاً (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو : ويقول تعالى .

ويحفظان فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها، وليضر بن بخمرهن على جبهتهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعوتهن أو آبائهن ... الخ (*)

من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشرعية الإسلامية والعادات العربية، وفيه عبرة وذكرى لآخواتنا مسلمي البلاد العثمانية وسائر اخواتنا في اقطار الدنيا ليتعظوا بذلك ولا يكون سبباً لاسترسال هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمة الله والجراة على مخالفة أوامره لجاء يستفيدونه، وأرتب يستفيدونه، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير المنكر بيده أو لسانه أو قلبه فليفعل، ومن كان لديه ما يدافع به عن جراة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به فاننا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) (١)

شريف مكة وأمرها

نحرياً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ماخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاديين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب والظلم والبغي والعدوان، وعبثوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يعلمون ذلك كالعرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء البلاد الحجازية خاضعة لهم يضرها ويضر أهلها ويوقعهم في الخطر من حيث لا ينفذ الدولة ولا يغني عنها شيئاً، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الاربع «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه» الخ وبذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل الحجاز فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الامة ولو لم يكن معه غير أسرته الهاشمية وعصبتهم واتباعهم من العرب لكفى بهم أهل حل وعقد في مهد الاسلام وأفضل بلاد الارض، ويلبهم في هذه الصفة سائر الامراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام زعماء أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبراءهم في الامتانة وهجيرها تحت قهر سلطة عسكرية زمامها بأيدي ملاحة الاتحاديين ونصارى الألمان. ولما كان شريف مكة

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى الى (إلا) الثانية

(١) في جريدة القبلة «وإنا أو اياكم» وهو غلط مطبعي طبعاً

٢٧٤ كتاب شرح البيع في القوانين والشريعة [المجلد ٦ : ج ١٩ م ١٩]

ومن شايعه من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الاتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم . وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقرير المطبوعات الجديدة

أهدي اليه في العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لننظر فيها نظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها، وإن منها ما يبعث حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو بمعنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية، وقد يعد طول الزمان على السكوت عنها أشد هضما لها وبخسا لحقها، فلذلك رأينا أن التنويه بها ، بما تمليه النظرة العجلى فيها، ربما كان كالمثل يفضله نازحه المستمده الصديان، على الغمر النسيء يخاف عليه النسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمحاكم الاهلية بوزارة الحفانية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرها — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك المدقق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات . وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسنه تقريره الصحفي أي إحسان . ان هذا المصنف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين، ويعتمدون على نقوله ومباحثه في المقابلة والتظير بينها وتفضيل بعضها على بعض . فلو أتيح لي ان أوفيه حقه من التقرير والنقد فيما يعينني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أورده من ذلك كله أو الكثير منه، وبنيت ما يريني الله من الحق فيما أورده من الاحكام الشرعية التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية . وما فاتته من الاحكام ، في كتب غيرهم من فقهاء الاسلام . فقد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسميه وبين الشريعة على كتاب مرشد الحيران الذي ألفه قدرى باشا ومجلة الاحكام العدلية التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب التي كان يراجعها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية ، ولم يذكر بينها شيئاً من كتب فقه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذاهبين أجمع لدلائل الكتاب والسنة ، وكتب الشافعية منها أشد تنقيحاً ، وكتب الحنابلة أوسع طريقاً ، فلأن المؤلف غني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما غني بكتب الحنفية لكان علمه بالشرعية الاسلامية أوسع ، ومقابلته بينها وبين القوانين أصح وأنفع ، ومن أجل هذه الكتب كتاب المفني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للإمام ابن حزم و (نيل الاوطار) للإمام الشوكاني . ومن أجل الكتب الباحثة في حكم الشريعة (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأنفعه فيما نعلم هو ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له . فلعل المصنف يعني بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا تقحح الكتاب عند ارادة اعادة طبعه — ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ﴾

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن طريق سينا من أول عهد التاريخ الى اليوم ، مؤلفه نعيم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان) وهو مجلد ضخم تزيد صفحاته على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعاً جميلاً ، وأجمعت الصحف على حسن تخطيطه والثناء عليه ، وما وفاه أحد منهم حقّه ، ولا شرح للناس حقيقته وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجاباً يخفي ما وراءه من الحقائق التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، المتعلق أكثرها بالعرب والبلاد العربية ، من شؤونها الغابرة ، وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدوداً على تلك

المخدرات، مأماطته الصحف عن ذلك الوجه ، ولا أظهرت كل ماوراءه من الجمال والحسن ، على ان كشف الحجاب عن أبكار المعاني ، ككشفه عن أبكار المعاني ، كل منهما يباح للخاطبين ، كما يباح للمحارم من الأهل والأقربين ، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين ، فما بال أبكار مؤرخنا العربي لا تزال محجوبة عن خطابها المتعديدين ، وذوي قراباها الكثيرين ، بذلك الاسم الذي لا يدل إلا على جزء من مسماه ، كما حجب استعداد أمتنا العربية بالاستعداد الذي يغشاه ، وحجب ما في وطننا العربي من الآثار والمعادن بجهل الحاكم الذي يتولاه ؟

ألا أيها الخطاب ، لتلك الأبقار العرب الأتراب ، لقد نصب الله لكم من يرفع عن محاسن وجوههن الحجاب ، وإن كان ينخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور ، الذي يحزم بانه مزيد في التهلك والفجور ، ولكنه قبل رفعه ، يبين لكم سبب وضعه ، فيقول :

إن المؤلف لما أتبع له الوقوف على تلك الحقائق التي يجهلها إلا كثرون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة ، كما هو شأن محبي العلم الذين يتعبون في تحصيله وتمحيصه ، فعمد إلى تقييد أوابدها ، وقنص شواردها ، بعد أن قتل مسائلها بالبحث والتدقيق تقييلا ، وفصل القول فيها تفصيلا ، فجاء تاريخا مطولا لهذه البقعة الغامرة ، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا العامرة ، فكان مظنة الانتقاد بأنه اشتغال بالكمال من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية ، قبل الوصول إلى ما يفي بالحاجة من مباحثه الكلية ، وكان مؤرخنا اللودعي لمح بلحظ الغيب ذلك الانتقاد يحول في مطاوي الأفكار ، بعد أن تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الأسفار ، فأراد أن ينظم تلك المباحث الكمالية في سلك الضروريات ، فوضع للمكتاب خاتمة كانت كالمقصد من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات

ذلك بأنه لما كانت سيناء معقد الاتصال والارتباط بين أعظم الأقطار العربية ، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية ، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها ، خلاصة تاريخ الأقطار التي تحيط بها ، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الاعتبار ، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطار، والتي يتبدل بها ما يتبدل من احوال الامم والاطوار، — ذكر قومه الاقربين
سوريين ومصريين، ومن وراءهم من العرب أجمعين، بأن أصل أروماتهم واحد
وهو الجنس العربي الكريم، والاصل الذي ينتمى اليه أنبياءهم المرسلون في ملهم
ونسبهم واحد وهو خليل الله ابراهيم، وبأن لغتهم واحدة وهي العربية، وكذلك
عادتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، وهل يفتد أحد على الرضاء بالخلاف
والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة؟ كلا، لا عذر الا
الجهل أو عصبية الجاهلية، وهالك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحججها الجلية،
قال المصنف في تمهيد خاتمه الحسنى :

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث
وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا
العصر — عرباً أو من أصل عربي^(١)، وكان لغتهم العربية أو اختلاها^(٢) وعليه
فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية»
ثم إنه جاء بزبدة تاريخ هذه البلاد ايضاحاً لهذه الحقيقة وقد بدأ بمخلاصة تاريخ العرب
مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان
(أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء
التاريخ واللغات والعاديات^(٣) — وفي مقدمتهم العلامة روبرتس سمث الانكليزي —
وهو ان مهد جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق
العرب المسلمون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية، ومن أدلتهم اللغوية
ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — السكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرانية
والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية
» ومهما يكن من أمر ذلك المهد فالتا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

(١) ان الذين لم يسموا عرباً كدول الفراعنة والفينيقيين كانوا او كانت دول
الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرانية تعدان اختين للعربية
لان أصلهما واحد سامي مهد الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة
نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديماً وحديثاً، وخرجوا من جزييرتهم للفتوحات غرباً الى سيناء ومصر وافريقية الشمالية، وشرقاً الى العراق وتركستان، وشمالاً الى سورية وآسية الصغرى، فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام وبعده . فكان مهد العرب ومسرحهم منذ القديم من المحيط الاطلسيكي شرقاً وغرباً ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالاً وجنوباً «

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة انهم كانوا يسكنون ما بين العراق والعقبة، وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر . ثم قال : « وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حمورابي] فأسس مملكة قوية عرفت « بدولة حمورابي » بلغت اسمى ما وصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين وبناء الهياكل والقصور، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن ٢١١ قبل المسيح »

« وذكر مؤرخو العرب ان العاقلة هم الرعاة (الهكسوس) الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر وايشويا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سيناء أو بوغاز باب المندب كما سيجي »

« هذا وسنرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسسوا فيها دولاً شتى »

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب المتعربة والمستعربة من القحطانيين والعدنانيين واستطرد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه ودوله من العرب وغيرهم ختمها بالدولة العثمانية ، وما انتهت اليه حالها في عهد طغاة الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية ، وتقحمهم بالدولة أخطار هذه الحرب الاوربية ، وحكم عليهم بأنهم أضاعوا بذلك ملكهم مهما تكن عاقبة هذه الحرب

مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقال في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تحميها ، وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد أمرائها ، وأصدر (الجنرال السرجون مكسويل) القائد العامّ البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه : « [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حربية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانئها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو إنجاد من ينهض من العرب للخلاص من ربة الترك] »

وبعد وصف جزيرة العرب وبيان حالها وسكانها في هذا المصغر عقد فصلا ثانيا خلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

٥ - بين المؤرخ ان شعوب سورية القديمة هم الاراميون والكنعانيون والحثيون والعموريون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العرق الا فلسطينيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع انخلولا لمنع الجمع فالتحقيق ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية توا ومنهم من هاجر الى العراق توا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر وبعد ان قال في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولا وجيزا مفيدا وشكا من هدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضعفهم بانقسامهم واختلاف أفراضهم وأديانهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ - ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر ممالكه القديمة والحديثة من الكلدانيين الى العثمانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين ايضا نصفهم بدو ونصفهم حضر وكلهم عرب الا قليل من الاكراد . (*)

(*) استطرد المؤرخ هنا الى ما لم يستطرد الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدأ بذكر الفاروقيين وقال انهم يسكنون الموصل وفاته أن منهم فرعا في بغداد أيضا. وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل وبغداد والبصرة. وثالث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد . ثم ذكر الجيلانية والآلوسية في بغداد . وفاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية أيضا ، =

٣٨٠ أصول الفراعنة من العرب واقتهم عربية [المنار: ج ٦ م ١٩]

٧ - ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :
[« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصر ايم
ابن حام بن نوح - هاجر اليها من آسية . ولكن بعض المتضلمين من اللغة
المهروغليفية اكتشفوا حديثا أن هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد
كما مر . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من
أصل عربي قديم » وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر »] اهـ
ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سماهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة
وهي كلمة محرفة عن كلني (حق شاسو) ^(١) في لغة قدماء المصريين ومعناها « ملك
البوادي » وسماهم مؤرخو العرب العمالة كما تقدم آنفا ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم
وقول ياقوت « إن العمالة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكا في سورية
وفراعنة في مصر » ثم قال

[وخلاصة القول انهم قوم رحالة أو عرب أتوا من المشرق » فاذا ثبت ذلك
كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر » والظاهر انهم كانوا من جنس عرب سورية
لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزح كثير من السوريين الى مصر] اهـ
٨ - ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

= وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة العلوية ويقولون انهم يوجدون في جميع الولايات
العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان اشهر بيوتهم في العراق
بيت النقيب وبيت الالوسي في بغداد وبيت النقيب في البصرة . وقد ذكر من آل
الالوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهابية) في العراق
وذكر الوهابية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على
نجد فانه جعل الحنابلة غير الوهابية ونسب الى الوهابية ما لا يقوله أحد ممن يطلق
عليهم هذا اللقب . ولا تعجب فقد اغتر كثير من الناس بما كتبه دحلان وغيره عن
هؤلاء الناس ، وما ذاك الا من فتن السياسة أعادنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس يشوس فهو اشوس وهم
أشاسوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يهضر عينيه وينظر بمؤخرها أو
من ينظر الى الشيء نظرا احتقار - وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت
العمالة ورعا كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر الميم كما يستعملها أهل الحجاز الآن

عصر فأشار إلى اليهود والمسلمين منهم إشارة وجيزة في صفحة واحدة لقلة عددهم وتوسعه في ذكر النصارى - قل - (وعم من نهي بالنصر السوري عند التخصيص) أي عند الإطلاق ، فذكر قدماءهم ومتأخريهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة ورتبتهم بخمسة وعشرين مليوناً ، وذكر أنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة . ورؤساءهم الروحيين وبيوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكتباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفى على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يتمق كلهم أوجاهم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجها لدخولهم في الحرب الحاضرة (٢) الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادئ اللامركزية الشورية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة . ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها ، ثم في نوع المساعدة التي يتطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرفي . ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جدا ، والسواد الأعظم من أهالي سورية من مسلمين ونصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل النسك . وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم ، وتحدوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

» واهم الاسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة - ١ - أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا - ٢ - ان يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي ، وانهم كانوا عربا أو ساميين ، قبل ان كانوا يهودا ونصارى ومسلمين ، - ٣ - أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية ، ولانه لا شيء

يقرب العناصر المتنافرة ، مثل الاجماع على لغة واحدة »

وتكلم بعد ذلك في مسألة تجنس السوري بالجنسية المصرية فبين المرغبات فيها وأضدادها ، وأنها ان هواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد المعتدلة كسورية فهو لا يزال يضعفهم الى ان ينقضوا ، والنصارى منهم وان كثروا يتقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الأكبر — وهم المسلمون — في الدين وعدم الاختلاط بالزواج .

ثم نصح للسوريين بعشر نصائح ، قال انها منتهى ما بلغ اليه اختباره بعد ان جاوز الحسين ، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين ، وهي

- (١) ان لا ينتسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصلهم السوري وهم احفاد الحسين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف « وأنصار ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحداية الله وهذب الاخلاق وشاد الاديان التي تسود العالم الآن » ٢ - قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم لاصلي حيا ما يمكن لتبديل الهواء أو تجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحث على الزواج الباكر والرياضة البدنية - ٣ - قوله « اتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم بقوات ثلاث : العلم الشريف والمال الحلال والخلق الحسن ، واحذروا آفات ثلاثا : المسكر والمنكر والقمار » - ٤ - احث على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية وخاصة التجارة مع النهي عن الربا - ٥ - الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أو مزارع واحد من تجارهم أو مزارعيهم الكبار » - ٦ - تكريم نوابغهم وإجلال أفاضلهم وتقويم المعوج منهم تحقيقا للتضامن الذي يجعلهم كأنهم أسرة واحدة - ٨ - التعاون على المنافع والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات ، وعدم تكريم الغني الذي يقصر في ذلك - ٩ - قوله « لاتدعوا الاختلافات المذهبية التي أورثتكم الشقاق والشقاء في بلادكم ترافقتكم الى دار هجرتكم فتكدر صفاءكم وتحرمكم لذة التمتع بالالفة الجنسية » وذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض - ١٠ - طاعة السلطان وقانون البلاد والعمل لرفع الامة المصرية والحرص على روائتها . وحتم الكلام أو

الكتاب بابيات في الجمع بين حب مصر والشام وجمل قلبه شطرين بينهما وتمني
تعاقدتهما عناق الاخاء الى المنتهى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، لخدمة الاسلام
والعرب » مديرها المسؤول محب الدين الخطيب
أنشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤ هـ ، ومحب الدين الخطيب
المدير لشؤونها هو صديقتنا المشهور في عالم الصحافة بأشغاله عدة سنين بالتحرير والترجمة
في جريدة المؤيد بمصر ، ومن المحررين لها صديقنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور ،
الذي كان استاذ الامة والآداب العربية في مدرسة فردون الكلية في السودان
واننا نرى ان أنفع ما ينشره محب الدين فيها بعد منشورات سيدنا الشريف
الحكمة هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما يبثه في الشعب التركي كتابه
من الثابتة الجديدة المتفرجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد
والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالتشكيك في عقائده وشريعته ، والنشوية
لأدابه وفضائله ، والمحو لصيغته من القلوب واستبدال صبغة جنسية تورانية بها .
ومستقبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة ريال مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة
فرنكات في سائر الاقطار ، وهي قيمة قليلة لعلها لا تفي بنفقات الجريدة ، الا اذا
كثرت الاشتراكون فيها فصار ألوفا كثيرة ، لان الورق والخبز قد تضاعفت أثمانهما في
هذه السنين كما تضاعفت أثمان أكثر ما تصدره أوربة من مصنوعات ، بعد ان شغلتها
الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والعارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من
سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها ، ونحث أرباب الاقلام منهم
على مواصلة ما نجود به قرائحهم من المقالات والاخبار والآراء المنيرة للجامعة العربية
أو للامة الاسلامية ، ونحمد الله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحتين لاسلامية والعربية
كما بينا ذلك في مقال في كده المسألة العربية ضاقت عنه أجزاء المنار الماضية وهذا

٣٨٤ مجلة الاحكام الشرعية . الثمرات [المنار : ج ٦ م ١٩]

الجزء أيضا، وسينشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى، وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون ووقفوا مال الدولة ونفوذها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك بديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيد إيضاها وظهورا وقد كان الواجب على المنار ان يبادر الى تقرير هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافا لعادته في إرجاء تقرير المطبوعات، ولكن لكل أجل كتاب، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المنار في الاقطار أن تأخيرنا لتقريرها لم يكن لقلة العناية بشأنها، اذ نبهنا الى ذلك ما كتبه الينا بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السوريين في أمريكا (مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشئها حسن بك حماده المحامي الشرعي مشهور أيضا فلا حاجة الى التعريف بهما، وقد كانت المجلة حجبت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها مفتشا بنظارة الاوقاف في الآستانة ثم انه أعاد إصدارها في العام الماضي فأتى مجلد السنة العاشرة واستمر على إصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مشتملا على مقدمة مختصرة وتسع قرارات شرعية وحكمين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحقانية وقد صارت المجلة وافية بحاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحتمانية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثر الاقبال عليها من جميع جهات القطر فنهئ صديقنا منشئها ونتمنى له دوام التوفيق والارتقاء (الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية انتقادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد و بكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يمض في سيره لاسباب ذكرها، وقد أعاد إصدارها في هذا العام فترجوها الرواج . وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في القطر المصري

﴿ رحلة الحجاز ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر شيء من رحلتنا الحجازية وموعدنا الاجزاء الآتية